

ديوان الإمام
عبدالله بن المبارك
المتوفى سنة 181 هجرية

شبكة مجاهد مسلم الإسلامية الدعوية
www.islammi.jeeran.com
www.geocities.com/moujahedmoulem

تحقيق
سعد كريم الفقي

دار اليقين للنشر والتوزيع
مصر المنصورة

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الحمد لله رب العالمين رفع السماء بلا عمد الواحد الأحد الفرد الصمد علم
الإنسان ما لم يعلم سبحانه وتعالى تبارك اسمه وتعالى جده يسبح من في
السموات والأرض بجلاله وعزته.
وأصلي وأسلم على خير نبي أرسل محمد بن عبدالله صلوات ربي وسلامه
عليه صلاة وسلاما دائمين الى يوم الدين.
إن خير الكلام كتاب الله وخير الهدي هدي محمد صلى الله عليه وسلم
وشتر الأمور محدثاتها وكل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة وما قل وكفى خير
مما كثر وألهى وبعد:

كل باك فسيبكي
وكل فخور سيفنى
ليس غير الله يبقى
وكل ناع فسينعى
وكل مذكور سينسى
من علا فالله أعلى

ثم أما بعد:

فإن ديوان الإمام عبدالله بن المبارك بين أيدينا آثارنا أن نجعله بين يدي
القارئ الكريم لما يحويه من حكم وأشعار عظيمة.

نسأل الله تبارك وتعالى، أن ينفعنا بما علمنا وأن يعلمنا ما جهلنا وأن يرزقنا بما علمنا العمل الصالح المقبول إنه على كل شيء قدير وبالإجابة بصير إنه نعم المولى ونعم النصير.
وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

كتبه

سعد كريم القفي
عفاً الله عنه

ترجمة عبدالله بن المبارك

يكنى أبا عبدالرحمن كان أبوه تركيا عند رجل من التجار من بني حنظلة. وكانت أمه تركية خوارزمية. ولد سنة ثمانى عشرة ومائة، وقيل تسع عشرة. الحسن قال: كانت أم ابن المبارك تركية، وكان الشبه لهم بينا فيه، وكان ربما خلع قميصه فلا أرى على صدره وجسده شعر كثير.

قال: وكانت دار ابن المبارك بمرو كبير صحن الدار نحو خمسين ذراعاً في خمسين ذراعاً، فكنت لا تحب ان ترى في داره صاحب علم أو صاحب عبادة أو رجلاً له مروءة وقدر إلا رأيت في داره، يجتمعون في كل يوم خلقاً يتذاكرون حتى إذا خرج ابن المبارك انضموا اليه. فلما صار ابن المبارك بالكوفة نزل في دار صغيرة وكان يخرج الى الصلاة ثم يرجع الى منزله لا يكاد يخرج منه ولا يأتيه كثير أحد. فقلت له يا أبا عبدالرحمن، ألا تستوحش هاهنا مع الذي كنت فيه بمرو؟ فقال: إنما فررت من مرو من الذي تراك تحبه وأحيت ما هاهنا للذي أراك تكرهه لي، فكنت بمرو لا يكون قوم إلا أتوني فيه ولا مسألة إلا قالوا: اسألوا ابن المبارك، وأنا هاهنا في عافية من ذلك.

قال: وكنت مع ابن المبارك يوماً فأتينا على سقاية والناس يشربون منها، فدنا ليشرب ولم يعرفه الناس فزحموه ودفعوه فلما خرج قال لي: ما العيش إلا هكذا، يعني حيث لم نعرف ولم نوقر.

قال: وبيننا هو بالكوفة يقرأ عليه كتاب المناسك. انتهى الى حديث وفيه: قال عبدالواحد وبه نأخذ. فقال: من كتب هذا من قولي؟ قلت: الكاتب الذي كتبه. فلم يزل يحكه بيده حتى درس. ثم قال: ومن أنا حتى يكتب قولي؟

قال: الحسن وكنا على باب سفيان بن عيينه يوماً، وأصحاب الحديث وهم يرون أن عنده بعض هؤلاء الكبار يحدثه. فقال رجل: أعياني أن أرى رجلاً لا يسوي بين الناس في علمه. فقال له آخر: هذا عبدالله بن المبارك. قال: نعم هات غيره، أتعرف غيره؟

فلما قدمت الكوفة ذكرت لابن المبارك قول الرجل وأنه فلان ولم أعلمه أنهم سموه. فقال: أفلا قالوا الفضيل بن عياض؟ قال الحسن: ورأيت في منزل ابن المبارك حماما طياراً. فقال ابن المبارك: قد كنا ننتفع بفراخ هذا الحمام فليس ننتفع بها اليوم قلت: ولم ذلك؟ قال: اختلطت بها حمام غيرها فتزاوجت بها فنحن نكره أننتفع بشيء من فراخها من أجل ذلك.

قال الحسن: وصحبت ابن المبارك من خراسان الى بغداد فما رأيتاه يأكل وحده.

قال: وزوج النضر بن محمد ولده ادعى ابن المبارك. فلما جاء أقام ابن المبارك ليخدم الناس فأبى النضر أن يدعه وحلف عليه حتى جلس.

عبيد بن جناد قال: قال عطاء بن مسلم: يا عبيد رأيت عبدالله ابن المبارك؟ قلت: نعم، قال: ما رأيت مثله ولا يرى مثله.

عبدالرحمن بن مهدي قال: ما رأيت عيناى أنصح لهذه الأمة من عبدالله ابن المبارك.

نعيم بن حماد قال: كان عبدالله بن المبارك كثير الجلوس في بيته فقيل له: ألا تستوحش؟ فقال: كيف أستوحش وأنا مع النبي صلى الله عليه وسلم؟

شقيق بن إبراهيم قال: قيل لابن المبارك: إذا صليت معنا لم تجلس معنا؟ قال: أذهب أجلس مع الصحابة والتابعين. قلنا له: ومن أين الصحابة والتابعون؟ قال: أذهب أنظر في عملي فأدرك آثارهم وأعمالهم، ما أصنع معكم؟ أتم تغتابون الناس، فإذا كانت سنة مائتين فالبعد من كثير من الناس أقرب الى الله، وفر من الناس كفرارك من أسد، وتمسك بدينك يسلم لك. الحسين بن الحسن المروزي قال: قال عبدالله بن المبارك: كن محبا للخمول كراهية الشهرة ولا تظهر من نفسك أنك تحب الخمول فترفع نفسك فإن دعواك الزهد من نفسك هو خروجك من الزهد لأنك تجر الى نفسك الثناء والمدحة.

أشعث بن شعبة المصيصى قال: قدم هارون الرشيد الرقة فانجفل الناس خلف عبدالله بن المبارك وتقطعت النعال وارتفعت الغبرة وأشرفت أم ولد أمير المؤمنين من برج من قصر الخشب فلما رأته الناس قالت: ما هذا؟ قالوا: عالم من أهل خراسان قدم الرقة يقال له عبدالله بن المبارك. فقالت: هذا والله الملك لا ملك هارون الذي لا يجمع الناس إلا بشرط وأعوان.

سويد بن سعيد قال: رأيت عبدالله بن المبارك بمكة أتى زمزم فاستقى منها ثم استقبل الكعبة فقال: اللهم إن ابن أبي المولى حدثنا عن محمد بن

المنكدر، عن جابر عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: " ماء زمزم لما شرب له " وهذا أشربه لعطش يوم القيامة. ثم شربه.

نعيم بن حماد قال: كان ابن المبارك إذا قرأ كتاب الرقاق فكأنه بقرة منحورة من البكاء لا يجترئ أحد منا أن يدنو منه أو يسأله عن شيء.

قال سفيان: إنني لأشتهي من عمري كله أن أكون سنة واحدة مثل عبدالله بن المبارك فما أقدر أن أكون ولا ثلاثة أيام.

عمران بن موسى الطرسوسي قال: جاء رجل فسأله سفيان الثوري عن مسألة، فقال له: من أين أتيت؟ قال: من أهل المشرق؟ قال: أوليس عندكم أهل المشرق؟ قال: ومن هو يا أبا عبدالله؟ قال: عبدالله بن المبارك. قال: وهو أعلم أهل المشرق؟ قال: نعم وأهل المغرب. قال ابن عيينة: نظرت في أمر الصحابة وأمر ابن المبارك فما رأيت لهم عليه فضلا إلا بصحبتهم النبي صلى الله عليه وسلم وغزوهم معه.

حبان بن موسى قال: عوتب ابن المبارك فيما يقرئ من المال في البلدان ولا يفعل في أهل بلده كذلك، فقال: إنني أعرف مكان قوم لهم فضل، وصدق طلبوا الحديث وأحسنوا الطلب، فاحتاجوا، فإن تركناهم ضاع علمهم، وإن أعناهم بثوا العلم لأمة محمد صلى الله عليه وسلم، ولا أعلم بعد النبوة أفضل من بث العلم.

عبدالله بن ضريس قال: قيل لعبدالله بن المبارك: يا أبا عبدالرحمن، الى متى تكتب هذا الحديث؟ فقال: لعل الكلمة التي انتفع بها ما كتبتها بعد.

الحسين بن الحسن المروزي قال: سمعت ابن المبارك يقول: أهل الدنيا خرجوا من الدنيا قبل أن يتطعموا أطيب ما فيها. قيل له: وما أطيب ما فيها؟ قال: المعرفة بالله عز وجل.

قطن بن سعيد قال: ما أفطر ابن المبارك رثى نائما قط.

علي بن الحسن بن شقيق قال: سمعت ابن المبارك يقول: لأن أرد درهما من شبهة أحب الى من أن أتصدق بمائة ألف ومائة ألف، حتى بلغ ستمائة ألف.

عبدالله بن خبيق قال: قيل لابن المبارك: ما التواضع؟ قال: التكبر على الأغنياء.

عياش بن عبدالله قال: قال عبدالله بن المبارك: لو أن رجلا أبقى مائة شيء ولم يتورع عن شيء واحد لم يكن ورعا ومن كان فيه خلة من الجهل كان من الجاهلين. أما سمعت الله تعالى قال لنوح عليه السلام لما قال:

{ان ابني من أهلي} فقال الله تعالى: {إني أعطك أن تكون من الجاهلين}؟

علي بن الحسن قال: سمعت عبدالله بن المبارك يقول: لا يقع موقع الكسب على العيال شيء، ولا الجهاد في سبيل الله.

عبدالله بن عمر السرخسي قال: قال لي ابن المبارك: ما أعياني شيء كما أعياني أني لا أجد أخا في الله عز وجل.

سليمان بن داود قال: سألت ابن المبارك من الناس؟ قال: العلماء، قلت فمن الملوك؟ قال: الزهاد، فمن الغوغاء؟ قال: خزيمة وأصحابه. قلت: فمن السفلة؟ قال: الذين يعيشون بدينهم. فضيل بن عياض قال: سئل ابن المبارك: من الناس؟ قال: العلماء. قال: فمن الملوك؟ قال: الزهاد. قال: فمن السفلة؟ قال: الذي يأكل دينه.

أحمد بن جميل المروزي قال: قيل لعبدالله بن المبارك: إن إسماعيل ابن علية قد ولى الصدقات. فكتب إليه ابن المبارك:

يا جاعل العلم له بازيا يصطاط أموال المساكين
أحتلت للدنيا ولذاتها بحيلة تذهب بالدين
فصرت مجنونا بها بعد ما كنت دواء للمجانين
أين رواياتك في سردها عن ابن عون وابن سيرين؟
أين رواياتك والقول في لزوم أبواب السلاطين؟
إن قلت أكرهت فماذا كذا زل حمار العلم في الطين

فلما قرأ الكتاب بكى واستعفى.

محمد بن علي بن الحسن بن شقيق قال: سمعت أبي يقول: كان ابن المبارك إذا كان وقت الحج اجتمع إليه اخوانه من أهل مرو فيقولون: نصحك يا أبا عبدالرحمن، فيقول لهم: هاتوا نفقاتكم فيأخذ نفقاتهم فيجعلها في صندوق ويقفل عليها ثم يكتري لهم ويخرجهم من مرو إلى بغداد، بأحسن زي وأكل مرؤة، حتى يصلوا إلى مدينة رسول الله صلى الله عليه وسلم، فإذا صاروا إلى المدينة قال لكل رجل منهم، ما أمرك عيالك أن تشتري لهم من المدينة، من طرفها؟ فيقول: كذا، ثم يخرجهم إلى مكة فإذا وصلوا إلى مكة فقصوا حوائجهم قال لكل واحد منهم: ما أمرك عيالك أن تشتري لهم من متاع مكة؟ فيقول: كذا وكذا. فيشتري لهم ويخرجهم من مكة، فلا يزال ينفق عليهم حتى يصيروا إلى مرو فإذا وصلوا إلى مرو جصص أبوابهم ودورهم. فإذا كان بعد ثلاثة أيام صنع لهم وليمة وكساهم فإذا أكلوا وشربوا دعا بالصندوق ففتحه ودفع إلى كل رجل صرته بعد أن كتب عليها اسمه. قال أبي: أخبرني خادمه أنه عمل آخر سفرة سافر بها دعوة فقدم إلى الناس خمسة وعشرين خوانا فالودجا.

قال: وبلغنا أنه قال للفضيل بن عياض: لولاك أنت وأصحابك ما اتجرت.

محمد بن عيسى قال: كان عبدالله بن المبارك كثير الاختلاف الى طرسوس، وكان ينزل الرقة في خان، فكان شاب يختلف اليه ويقوم بحوائجه ويسمع منه الحديث. قال: فقدم عبدالله الرقة مرة فلم ير ذلك الشاب وكان مستعجلا، فخرج في النفير فلما قفل من غزوته ورجع الى الرقة سأل عن الشاب فقالوا: إنه محبوب لدين ركبته. فقال عبدالله: وكم مبلغ دينه؟ قالوا عشرة آلاف درهم فلم يزل يستقصي حتى دل على صاحب المال فدعا له ليلا ووزن له عشرة آلاف درهم وحلفه أن لا يخبر أحدا ما دام عبدالله حيا، قال: أصبحت فأخرج الرجل من الحبس. وأدلى عبدالله وأخرج الفتى من الحبس، وقيل له: عبدالله ابن المبارك كان هاهنا وكان يذكرك، وقد خرج. فخرج الفتى في أثره فلحقه على مرحلتين أو ثلاث من الرقة، فقال: يا فتى، أين كنت؟ لم أرك في الخان؟ قال: نعم يا أبا عبدالرحمن، كنت محبوبا بدين. قال: وكيف كان سبب خلاصك؟ قال: جاء رجل وقضى ديني ولم أعلم به حتى خرجت من الحبس، فقال عبدالله: يا فتى أحمد الله على ما وفق لك من قضاء دينك. فلم يخبر ذلك الرجل أحدا إلا بعد موت عبدالله.

سلمة بن سليمان قال: جاء رجل الى عبدالله بن المبارك فسأله أن يقضى دينا عليه. فكتب الى وكيل له. فلما ورد على الكتاب قال له الوكيل: كم الدين الذي سألت فيه عبدالله أن يقضيه عنك؟ قال: سبعمائة درهم فكتبت له بسبعة آلاف، وقد فنيت الغلات، فكتب إليه عبدالله: إن كانت هذه الغلات قد فنيت فإن العمر أيضا قد فنى فأجر له ما سبق به قلمي.

وقد رويت لنا هذه الحكاية أبسط من هذا. فأخبرنا المحدثان ابن ناصر وابن عبدالباقي قالا: أنبا أحمد بن عبدالله قال: نبأ أبي قال: نبأ محمد بن ابراهيم قال: نبأ علي بن محمد بن روح قال: سمعت المسيب بن واضح يقول: كنت عند عبدالله بن المبارك جالسا إذ كلموه في رجل يقضي عنه سبعمائة درهم دينا. فكتب الى وكيله: إذا جاءك كتابي هذا فاقرأه فادفع الى صاحب هذا الكتاب سبعة آلاف درهم. فلما ورد الكتاب على الوكيل، وقرأه التفت الى الرجل فقال: أي شيء قضيتك؟ فقال: كلموه أن يقضي عني سبعمائة درهم دينا. فقال: قد أصبت في الكتاب غلطا، ولكن أقعد موضعك حتى أجري عليك من مالي وأبعث الى صاحبي فأوامره فيك. فكتب الى عبدالله بن المبارك: أتاني كتابك وقرأته وفهمت ما ذكرت فيه، وسألت صاحب الكتاب فذكر أنه كلمك في سبع مائة درهم وهاهنا سبعة آلاف. فإن يكن منك غلط فاكتب إلي حتى أعمل على ذلك. فكتب إليه: إذا أتاك كتابي هذا وقرأته وفهمت ما ذكرت فيها فادفع الى صاحب الكتاب أربعة عشر ألفا. فكتب اليه: إن كان على هذا الفعال تفعل فما أسرع ما تتبع الضيعة، فكتب الى عبدالله بن المبارك إن كنت وكيلي فأنفذ ما أمرك به، وإن كنت أنا وكيلك فتعال الى موضعي حتى أصير الى موضوعك فأنفذ ما تأمرني به.

ابن عباس قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " من فاجأ من أخيه المسلم فرحة غفر الله له " فأحببت أن أفاجئه فرحة على فرحة.

معاذ بن خالد قال: تعرفت الى إسماعيل بن عياش بعبدالله بن المبارك، فقال إسماعيل بن عياش: ما على وجه الأرض مثل عبدالله بن المبارك، ولا أعلم أن الله خلق خصلة من خصال الخير إلا وقد جعلها في عبدالله ابن المبارك، ولقد حدثني أصحابي أنهم صحبوه من مصر الى مكة فكان يطعمهم الخبيص، وهو الدهر صائم.

عبدالله بن خبيق قال: قال رجل لابن المبارك: أوصني. فقال: اعرف قدرك.

سعيد بن يعقوب الطالقوني قال: قال رجل لابن المبارك: هل بقي من ينصح؟ قال، فقال: وهل تعرف من يقبل؟

عبده بن سليمان قال: كنا في سرية مع عبدالله بن المبارك في بلاد الروم فصادفنا العدو فلما التقى الصفان خرج رجل من العدو فدعا الى الراز، فخرج اليه رجل فطارده ساعة فطعنه فقتله، فزدحم عليه الناس وكنت فيمن ازدحم عليه فإذا هو ملثم وجهه بكمه فأخذت بطرف كمه فمددته فإذا هو عبدالله ابن المبارك فقال: وأنت يا أبا عمرو ممن يشنع علينا.

أبو وهب قال: مر ابن المبارك برجل أعمى فقال: أسالك أن تدعو الله أن يرد بصري. قال: فدعا الله فرد عليه بصره وأنا أنظر.

الحسن بن عرفة قال: قال لي ابن المبارك: استعرت قلما بأرض الشام فذهب على أن أردّه الى صاحبه فلما قدمت مرو نظرت فإذا هو معي؛ فرجعت ، يا أبا علي إلى أرض الشام حتى رددته الى صاحبه.

شريح بن مسلمة قال: سمعت عبدالله بن المبارك يقول: كاد الأدب يكون ثلثي الدين.

أبو بكر عبدالله بن حسن قال: قال ابن المبارك: طلبنا العلم للدنيا فدلنا على ترك الدنيا.

أحمد بن الزبرقان قال: سمعت عبدالله بن المبارك يقول: إن الصالحين فيما مضى كانت أنفسهم تواتيهم على الخير عفوا وإن أنفسنا لا تكاد تواتينا إلا على كره فينبغي علينا أن نكرهها.

عن القاسم بن محمد قال: كنا نسافر مع ابن المبارك فكثيرا ما كان يخطر ببالي فأقول في نفسي: بأي شيء فضل هذا الرجل علينا حتى اشتهر في الناس هذه الشهرة؟ إن كان يصلي إنا لنصلي، ولئن كان يصوم إنا لنصوم، وإن كان يغزو إنا لنغزو، وإن كلن يحج إنا نحج.

قال: فكنا في بعض مسيرنا في طريق الشام نتعشى في بيت إذا طفق السراج فقام بعضنا فأخذ السراج وخرج يستصبح فمكث هنيهة ثم جاء بالسراج فنظرت الى وجه ابن المبارك ولحيته قد ابتلت من الدموع، فقلت

في نفسي: بهذه الخشية فضل هذا الرجل علينا، ولعله حين فقد السراج
فصار إلى الظلمة ذكر القيامة.

قال المروزي: وسمعت أبا عبدالله أحمد بن حنبل قال: ما رفع الله ابن
المبارك إلا بخيبة كانت له.

قال المروزي: وأخبرت عن داود بن رشيد قال: كان ابن المبارك عند أبي
الأحوص، فجاء رسول فلان الهاشمي بعض الولاة فقال: يقرئك السلام
ويقول: يا أبا الأحوص هذا شهر رمضان. قال وسعنا على عيالك، وهذه ألف
درهم توسع بها عليهم في هذا الشهر. قال أبو الأحوص: فعل الله به وفعل
به. وقال: قل له يدعها عنده حتى إذا احتجنا إليها بعثنا فأخذناها.

الحسن بن ربيع قال: سمعت ابن المبارك حين حضرته الوفاة وأقبل نصير
يقول له: يا أبا عبدالرحمن، قل لا اله الا الله. فقال له: يا نصير، قد ترى
شدة الكلام عليّ فإذا سمعتني قلتها فلا تردّها عليّ حتى تسمعني قد أحدثت
بعدها كلاما، فإنما كانوا يستحبون أن يكون آخر كلام العبد ذلك.

أدرك ابن المبارك جماعة من التابعين منهم: هشام بن عروة، وإسماعيل
ابن أبي خالد، والأعمش، وسليمان التيمي، وحميد الطويل، وعبدالله بن
عون، وخالد الحذاء، ويحيى بن سعيد الأنصاري، وموسى بن عقبة، في
آخرين.

وروي كبار الأئمة: كالثوري وشعبة والأوزاعي والحماديين في نظرائهم،
وكان أحد أئمة المسلمين. وتوفى بهيت منصرفا من الغزو لثلاث عشرة
سنة خلت من رمضان سنة إحدى وثمانين ومائة، وهو ابن ثلاث وستين سنة.

محمد بن فضيل بن عياض قال: رأيت عبدالله بن المبارك في المنام
فقلت: أي الأعمال وجدت أفضل؟ قال: الأمر الذي كنت فيه. قلت: الرباط
والجهاد؟ قال: نعم. قلت: فأي شيء صنع بك ربك؟ قال: غفر لي مغفرة ما
بعدها مغفرة، ولكمّنتني امرأة من أهل الجنة أو امرأة من الحور العينى.
أنظر صفوة الصفوة.

القسم الأول

شعر ابن المبارك

قافية الألف

نهاية الثراء

من الطويل
ألا قف بدار المترفين وقل لهم:
وأين الملوك الناعمون بغبطة
وأين أرباب المدائن والقرى؟
ومن عائق البيض الرعايب (1)
كالدمى؟
فلو نطقت دار لقاتل ديارهم
وأفناهم كثر النهار وليله
لك الخير صاروا للتراب وللبلبي
فلم يبق للأيام كهل ولا فتى

(1) البيض الرعايب: النساء الحسنات، والرعايب جمع رعيوب وهي المرأة الغضة الطويلة الممتلئة الجسم أو البيضاء الحلوة الناعمة.

قافية الباء

الجهاد الحق

حدث محمد بن إبراهيم بن أبي سكينه قال: أملى عليّ ابن المبارك بطرسوس، وودعته، وأنفذها معي الى الفضيل بن عياض سنة 177 هـ وفي رواية أخرى سنة 170 هـ، وهذه الأبيات:
الكامل

يا عابد الحرمين لو أبصرتنا
من كان يخضب خدّه بدموعه
أو كان يتعب خيله في باطل
ريح العبير لكم ونحن عبيرنا
ولقد أتانا من مقال نبينا
لا يستوي غبار خيل الله في
هذا كتاب الله يحكم بيننا:
لعلمت أنك في العبادة تلعب
فنجورنا بدمائنا تتخضب
فخيولنا يوم الصبيحة (1) تتعب
رهج السنابك (2) والغبار والأطيب
قول صحيح صادق لا يكذب
أنف امرئ ودخان نار تلهب (3)
ليس الشهيد بميت - لا يكذب (4)

(1) أي في يوم صبيحة الحرب والقتال.
(2) الرهج: الغبار والسنابك: جمع سنبك وهو طرف حافر الخيل.
(3) ورد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: " لا يجتمع غبار في سبيل الله ودخان جهنم في جوف عبد أبدا" رواه النسائي في سنن، انظر كنز العمال 2612.
(4) قال تعالى في سورة آل عمران آية 169: { وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْواتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرَرَّفُونَ (169) }.

حقيقة الملوك

الخفيف

قال عبدالله بن المبارك:

يا عدول البلاد أنتم ذئاب
غير أن الذئاب تصطاد وحشا
ويصيد العدول مال اليتامى
عمروا موضع التصنع منهم
سترتكم عن العيون الثياب
ومباآتها (5) القفار البيابا (6)
باقتناص كما يصيد العقاب (7)
ومحل الإخلاص منهم خراب

(5) المباءة: المنزل والمقر.

(6) القفار: جمع قفر وهو الخلاء من الأرض لا ماء فيه ولا ناس ولا كلاً، اليباب: الخراب.
(7) العقاب: طائر من كواسر الطير قوي المخالب، مسرول له منقار قصير أعقف حاد البصر، وفي المثل: أبصر من عقاب، (ج) عقبان.

عظة الشيب

الخفيف

قال عبدالله بن المبارك

أي عيش - وقد نزلت - يطيب
أمل العيش والممات قريب
ونداي موليا ما يجيب⁽¹⁾

أبأذن نزلت بي يا مشيب
وكفى الشيب واعظا غير أني
كم أنادي إذ بان مني

(1) وقال أمير الشعراء أحمد شوقي في هذا المعنى:
ليت الشباب يعود يوماً فأخبره بما فعل المشيب

عاقبة كنز المال

روي أن ابن المبارك قسم يوماً لآخوانه ومن حضره من أصحابه ألف درهم
ثم قال:

الخفيف

لجواد الكفّ نهّابه
يفعل الخمر بشترّابه

لا خير في المال وكثّاره بل
يفعل أحياناً بزوّاره ما

قافية التاء

وداع صديق

ودّع عبدالله بن المبارك رجلاً فقال:

الطويل

ونحن ننادي أن فرقة بيننا فراق حياة لا فراق ممات

قافية الحاء

القناعة

الرمل

قال عبدالله بن المبارك:

من غدو وراح⁽¹⁾
ووزير ذي سماح
وقنوع وصلاح

قد أرحنا واسترحنا
واتصل بأمير
بعفاف وركاف

وجعلنا اليأس مفتاً حا لأبواب النجاح
(1) الغدو: الذهاب في بداية النهار، والرواح الذهاب في آخر النهار، قال صلى الله عليه وسلم: " لو أنكم تتوكلون على الله حق توكله لرزقكم كما يرزق الطير تغدو خماصاً وتعود بطاناً".

اشترى عبدالله بن المبارك جارية فأحبها، فحجّ فكتب إليها:
الرمْل

هبت الريح من الشر ق فجاءتني بريحك
فتنشقت نسيم ال عيش من طيب نفوحك
فتوهمتك حتى خلتنى بين كشوحك⁽²⁾
كيف أنساك وروحي صنعت من جنس روحك

(2) كشوح: جمع كشح وهو ما بين الخاصرة والضلع.

قافية الدال

طلب العلم

قال ابن المبارك في شيخه حمّاد بن زيد⁽¹⁾:

الرمْل

أيها الطالب علماً إيت حمّاد بن زيد
فاطلب العلم بحلم ثم قيده بقيد
لا كثور⁽²⁾ وكجهم⁽³⁾ وكعمرو بن عبيد⁽⁴⁾

- (1): هو حمّاد بن زيد بن درهم الأزدي الجهضمي أبو إسماعيل البصري ثقة ثبت فقيه، قيل أنه كان ضريراً، ولعله طراً عليه لأنه صحّ أنه كان يكتب من كبار الطبقة الثامنة، مات سنة تسع وسبعين وله إحدى وثمانون سنة، أخرج له أصحاب الأصول الستة. انظر تقريب التهذيب 197\1 ترجمة 541.
- (2): هو ثور بن زيد الكلاعي يكنى بأبي خالد، كان قدرباً، فأخرجه أهل حمص من بلدهم وأحرقوا داره، توفى ببيت المقدس. انظر تهذيب التهذيب 36\2.
- (3): هو جهم بن صفوان السمرقندي يكنى بأبي مجرز من موالي بني راسب رأس الجهمية ضال، مبتدع زرع شرا عظيماً فقبض عليه نصر بن سيار وقتله سنة 128 هـ. انظر ترجمته في ميزان الاعتدال 197\1.
- (4): هو عمرو بن عبيد بن باب التيمي ولاء، يكنى بأبي عثمان البصري شيخ المعتزلة في عصره، اتصل بالمنصور العباسي وغيره، له رسائل وخطب وكتب، توفى سنة 144 هـ. انظر البداية والنهاية 78\10.

هجاء أبي العتاهية

قال عبدالله بن المبارك يذمّ الناسك الذي سكن ببغداد، وقيل: إنه نظر الى رجل عليه ثياب صوف لا تخالطها غيرها، فقال: من هذا؟ فقيل له: هذا أبو العتاهية الشاعر، فكتب له:

الخفيف

أيها القارئ الذي لبس الصو ف وأضحى يعدّ في العبّاد
الزم الثغر⁽¹⁾ والتعبّد فيه ليس ببغداد موضع الزهّاد
إن ببغداد للملوك محل ومناخ للقارئ الصياد
(1): الثغر: الموضع يخاف منه هجوم العدو، ومنه سميت المدينة على شاطئ البحر ثغرا، (ج) ثغر، ثغور.

دعوة للجهاد

الكامل

سمع عبدالله بن المبارك ينشد:

كيف القرار وكيف يهدي مسلم
الضاربات خدودهن برنة
القائلات إذا خشين فضيحة
ما تستطيع وما لها من حيلة

والمسلمات مع العدو المعتدى
الداعيات نبيهن محمد
جهة المقالة ليتنا لم نولد
إلا التستر من أخيها باليد

وصف فتاة

الطويل

أنشد عبدالله بن المبارك:

نظرت إليها نظرة لة كسوتها
لرقت حواشيها وفض حديدها

(2): سراييل: جمع سرايل وهو الثياب واللباس، يحفظ الإنسان.
(3): الحديد المسرد: أي المصنوع دروعا بنسجه، وشك طرفي كل حلقتين وتسميرهما، والسرد اسم للدرع المحكمة النسج.

سراييل (2) أبدان الحديد المسرد (3)
ولانت كمالانت لداود في اليد

قافية الراء

غاية الصبر

وجد فتى - كان يصحب ابن المبارك ويلازمه - في نفسه عليه، لما حدث
غيره بحديث كثير، فكتب له بيتين (1) رد عليهما ابن المبارك قائلا:

الرمل

غاية الصبر لذيذ طعمها
إن في الصبر لفضلا بيننا (2)

وردئ الذوق منه كالصبر
فاحمل النفس عليه تصطبر

(1): كتب الفتى الى ابن المبارك بيتين هما:
كنت زوارا لكم في أرضكم وأنا اليوم رفيق في السفر
وإن حقان عظيمان معا ليس كالطير الذي جاء فمر
(2): بينا: أي واضحا ظاهرا.

وقال عبدالله بن المبارك يمدح أبي حنيفة النعمان:
الوافر

رأيت أبا حنيفة كله يوم
وينطق بالصواب وبصطفيه

يزيد نباهة ويزيد خيرا
إذا ما قال أهل الجور (3) جورا
فمن ذا يجعلون له نظيرا
مصيبتنا به أمرا كبيرا

يقاس من يقايسه بلب (4)
كفانا فقد حماد وكانت

وأبدا بعده علما كثيرا
ويطلب علمه - بحرا عزيزا
رجال العلم كان بها بصيرا

فردّ شماتة الأعداء عتّا
رأيت أبا حنيفة - حين يؤتى
إذا ما المشكلات تدافعتها

(3): الجور: الظلم، يقال جار عليه في حكمه أو ظلمه فهو جائر (ج) جور.

(4): اللب: العقل، (ج) ألباب.

القناعة

البيسط

سمع عبدالله بن المبارك ينشد:

ولن ترى قانعا ما عاش مفتقرا
ما ضاع عرف وإن أوليته حجرا

ما ذاق طعم الغنى من لا قنوع له
والعرف من يآته تحمد عواقبه

الزهد الكفاف

قال رجل للفضيل بن عياض: إن أهلك وعيالك قد احتاجوا مجهودين هذا
المال، فاتق الله وخذ من هؤلاء القوم، فزجر ابن المبارك الرجل وأنشأ
يقول:

وقيل: قالها لرجل كان يصحبه، ثم صحب السلطان:
الرمل

ومن خبز الشعير
تنج من نار السعير
عرش والرب القدير
الله - عن دار الأمير
إنها شرّ مزور
لك من الحوب الكبير
رور في حفره بير
ك بالقوت اليسير
وزوال وغرور
لك أصحاب القصور
لس والجمع الكثير
ن لديهم من نكير
من شريف ووزير
خامل الذكر حقير
قوم في يوم العثير
رف غنيا من فقير
تحت أسفاف الصخور
بمساوئهم خبير
لم مقدار النكير
كين من دهر عثور
ن ونمرود النسور
م عبوس قمطير

كل من الجاروش والرز
واجعلن ذلك حللا
والتمس رزقك من ذي ال
وأنا ما استطعت - هداك
لا تزرها واجتنبها
توهن الدين وتدين
قبل أن تسقط يا مغ
وارض يا وبحك من دني
إنها دار بلاء
كم لعمرى صرعت قب
وذوي الهيئة في المجل
أخرجوا منها فما كا
كم ببطن الأرض تاو
وصغير الشأن عبد
قد تصفحت قبور ال
لم نميّرهم ولم نع
خدموا فالقوم صرعى
واستوا عند مليك
حكم عدل ولا يظ
احذر الصرعة يا مس
أين فرعون وهاما
أوما تحذر من يو

اقمطرُ الشر فيه بعذاب الزمهرير

النعيم الخالص
الطويل

قال عبدالله بن المبارك:

تنعم قوم بالعبادة والتقوى ألدّ النعيم، لا اللذابة بالخمير
فقرت به طول الحياة عيونهم وكانت لهم - والله - زادا الى القبر
على برهة نالوا بها العز والتقوى ألا ولذيذ العيش بالبرّ والصبر

شرّ الناس

البيسط

قال عبد الله بن المبارك: الناس هم السفلة⁽¹⁾ وأنشد:

قوم إذا غضبوا كانت رماحهم بتّ الشهادة بين الناس بالزور
هم السلاطين إلا أنّ حكمهم على السجلات والأملاك والدور
(1): سفلة القوم: عامتهم.

قافية السنين
فضل الجهاد

الرمل

قال عبدالله بن المبارك:

كل عيش قد أراه نكدا غير ركن الرمح في ظل الفرس
وقيام في ليال دجن حارسا للناس في أقصى الحرس
رافع الصوت بتكبير له ضجة فيه ولا صوت جرس

النفاق

السرّيع

ذكر لابن المبارك رجل ممن كان يدلس.. فأنشد:

دلس للناس أحاديثه والله لا يقبل تدليسا

قافية الصاد
طاعة الله

الوافر

وقال عبدالله بن المبارك:

أيضمن لي فتى ترك المعاصي وأرهنه الكفالة بالخلاص
أطاع الله قوم فاستراحوا ولم يتجرّعوا غضض المعاصي

قافية الظاء

الالتزام بحدود الله
الكامل

أنشد عزيز بن سماك الكرمانى لعبدالله بن المبارك:

ما لذتي إلا رواية مسند
ومجالس فيها على سكينه
نالوا الفضيلة والكرامة والتهى
لاظوا(1) برب العرش لم أيقنوا
لاظوا: أي ازدادوا عشقا لربهم.
قد قيّدت بفصاحة الألفاظ
ومذكرات معاشر الحفاظ
من ربهم برعاية وحفاظ
أن الجنة لعصبة لوّاظ

قافية العين
طلب العلم

المنسرح

قال عبدالله بن المبارك:

ياطالب العلم بادر الورعا
يا أيها الناس أنتم عشب
لا يحصد المرء عند فاقته
وهاجر النوم وهاجر الشبعا
يحصده الموت كلما طلع
إلا الذي في حياته زرعا

القناعة

قال عبدالله بن المبارك:

المنسرح

له درّ القنوع من خلق!
يضيق الفتى بحاجته
كم من وضع به ارتفعاً؟!
ومن تأسى بدونه اتسعا

الخوف من الله

الوافر

سئل عبدالله بن المبارك عن صفة الخائفين فقال:

إذا ما الليل أظلم كابدوه(1)
أطار الخوف نومهم فقاموا
لهم تحت الظلام وهم سجود
وخرس بالنهار لطول صمت
فيسفر عنهم وهم ركوع
وأهل الأمن في الدنيا هجوع(2)
أنين منه تنفرج الصلوع
عليهم من سكينتهم خشوع
(1): كابد الأمر: قاسى شدته وتحمله بمشقة.
(2): هجوع: جمع هاجع وهو النائم.

الاستعداد للقاء الله

حدّث عبدالله بن المبارك قال: تعرض الناس يوم القيامة ثلاث عرضات،
فأما عرضان، فأحاديث ومعاذير، وأما العرضة الثالثة فتطائر الصحف في
الأيدي، ثم أنشد:

البسيط

وكيف قرّرت لأهل العلم أعينهم
والموت يندرهم جهرا علانية
والنار ضاحية لا بدّ موردهم
قد أمست الطير والأنعام أمنة
فزع
والآدمي بهذا الكسب مرتتهن
حتى يوافيه يوم الجمع منفردا
إذ النبيون والأشهاد قائمة
وطارت الصحف في الأيدي منشرة
يودّ قوم ذوو عز لو أنهم
كيف شهودك والأنباء واقعة
أفي الجنان وفوز لا انقطاع له
تهوى بهلكاتها طورا وترفعهم
طال البكاء فلم ينفع تضرّعهم
هل ينفع العلم قبل الموت عالمه
أ أو استلذوا لذيق نوم أو هجعوا
لو كان للقوم أسمع لقد سمعوا
وليس يدرؤن من ينجو ومن يقع⁽¹⁾
والنون⁽²⁾ في البحر لم يخش لها
له رقيب على الأسرار يطلع⁽³⁾
وخصمه الجلد والأبصار والسمع⁽⁴⁾
والإنس والجن والأملاك قد خشعوا
فيها السرائر والأخبار تطلع
هم الخنازير كي ينجو - أو الضبع⁽⁵⁾
- عما قليل - ولا تدري ما يقع
أم الجحيم فما تبقي ولا تدع
إذا رجوا مخرجا من غمّها وقعوا
هيهات⁽⁶⁾ لا رقة تغني ولا جزع
قد سال قوم بها الرجعى فما رجعوا

- (1): قال تعالى: { وإن منكم إلا واردها كان على ربك حتما مقضيا }. مريم.
- (2): النون: الحوت.
- (3): قال تعالى: { كل امرئ بما كسب رهين } الطور.
- (4): قال تعالى: { حتى إذا جاؤها شهد عليهم سمعهم وأبصارهم وجلودهم } فصلت، وقال تعالى: { يوم تشهد عليهم ألسنتهم وأيديهم وأرجلهم بما كانوا يعملون } النور.
- (5): فقد ورد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم: " يوم القيامة يقضي الله بين بين الحيوانات حتى تقص الشاه الجلحاء من الشاء القرناء ثم يقول لهم كونوا ترابا" فعند ذلك يود الكافر لو كان ترابا. قال تعالى: { يوم يقول الكافر ياليتني كنت ترابا }.
- (6): هيهات: اسم فعل بمعنى بعد، قال تعالى: { هيهات هيهات لما توعدون }.

صفة الجنة

الطويل

قال عبدالله بن المبارك:

ألا ربّ طمرين⁽¹⁾ في منزل غدا
قد اطردت أنواره حول قصره
الطمر: الثوب الخلق البالي، (ج) أطمار.
قال تعالى في سورة الغاشية: { فيها سرر مرفوعة وأكواب موضوعة ونمارق مصفوفة وزرابي
مبثوثة }.

زرابيه مبثوثة ونمارقه⁽²⁾
وأشرق والتقت عليه حدائقه

النفاق

الرجز

قال عبدالله بن المبارك:

أعداء غيب إخوة التلاقي ياسوءتا من هذه الأخلاق
كأنما اشتقت من النفاق

قافية اللام
الكرم

البيسط

قال عبدالله بن المبارك:

أحضر طعامك وابذله لمن أكلا واحلف على من أبى واشكر لمن
ولاتكن سابري العرض محتشما فعلا
من القليل فلست الدهر محتفلا

وصف الصالحين

البيسط

قال رجل لابن المبارك: صف لي الوالدين بالله فقال: هم كما أقول لك:

مستوفدين على رحل كأنهم ركب يريدون أن يمضوا وينتقلوا
عقت جوارحهم عن كل فاحشة فالصدق مذهبهم والخوف والوجل

ذم الثقيل

الخفيف

أجاب ابن المبارك ثقيلاً(1) يستأذن عليه كاتباً(2) فقال:

أنت يا صاحب الكتاب ثقيل وقليل من الثقيل طويل
(1): الثقيل: من لا رغبة في وجوده والمكروه من الناس.
(2): كتب الرجل الثقيل الى ابن المبارك قائلاً: هل لذي حاجة اليك سبيل. ولاطويل قعوده بل قليل.

مصائب الدهر

الكامل

سمع ابن المبارك يقول:

دنيا تداولها العباد ذميمة شيببت بأكره من نقيع الحنظل
وبنات دهر(3) لا تزال ملمة فيها فجائع مثل وقع الجندل(4)
(3): بنات الدهر: المصائب والهموم.
(4): الجندل: مكان في مجرى النهر فيه حجارة يشد عنها جريان النهر (ج) جنادل.

رثاء المفضل الضبي

الطويل

سمع عبدالله بن المبارك بموت المفضل الضبي فقال:

نعى لى رجال والمفضل منهم فكيف تقرّ العين بعد المفضل

حفظ اللسان

المتقارب
قال رجل لابن المبارك أوصني فقال: احفظ لسانك ثم أنشده:

احفظ لسانك إن اللسان
وإن اللسان يريد الفؤاد
حريص على المرء قتله
دليل الرجال على عقله

رثاء الأحاب

المتقارب

سمع عبدالله بن المبارك يقول:

لقد ذهب الأنس والمانعون
ومن كان يسكن في ظلّه!!

توبة عبدالله بن المبارك

قال الحسين بن داهر (في قصة توبة عبدالله بن المبارك): وبلغنا من شعره الذي غني به على الطنبور، وفي رواية أخرى أن ابن المبارك قال عن نفسه " انتهت آخر السحر، فأخذت العود أعبت به وأنشد":
المتقارب

ألم يأن لي منك أن ترحما
وترثي لصبِّ بكم مغرم
وبيت إذا جنّه ليله
وماذا على الصب (2) لو أنه
وتعصى الوازل واللوما
أقام على هجركم ماتما
يراعي الكواكب (1) والأنجما
أحل من الوصل ما حرّما؟!
(1): يراعي الكواكب: يلاحظها ويتابعها.
(2): الصب: العاشق.

مناجاة

الطويل

قال عبدالله بن المبارك:

يا رب ذا العرش أنت رحيم
فيا رب هل لي منك حلما فإنني
ويارب هب لي منك عزما على التقى
ألا إن تقوى الله أكرم نسبة
إذا أنت نافست الرجال على التقى
أراك امراً ترجو الناس عفوه
وإنّ امراً لا يرتجي الناس عفوه
فحتى متى تعصي الاله؟ الى متى؟
ولو قد توسّدت الثرى وافترشته
وأنت بما تخفي الصدور عليم
أرى الحلم لم يندم عليه حلیم
أقيم به في الناس حيث أقيم
يسامى بها عند الفخار كريم
خرجت من الدنيا وأنت سليم
وأنت على ما لا يحب مقيم
ولم يأمنوا منه الأذى للئيم
تبارز ربي إنه لرحيم!
صرعت ولا يلوي عليك حميم

هجاء

ذكر جهم بن صفوان عند ابن المبارك فقال:

الطويل

عجبت لشیطان أتى الناس داعياً الى النار واشتق اسمه من جهنم

اختيار الصاحب الصالح

وقال ابن المبارك يمدح مسعر بن كدام (1) الحافظ:

الكامل

من كان ملتمساً جليسا صالحاً
فليأت حلقة مسعر بن كدام
فيها السكينة والوقار وأهلها
أهل العفاف وعلية الأقسام
(1): هو مسعر بن كدام بن ظهير الهلالي العامري الرواسي أبو سلمة، محدث ثقة من ثقات الحديث، خرج له أصحاب الكتب الستة، توفي بمكة، انظر ترجمته في تهذيب التهذيب 10\113.

آداب الحديث

قال عبدالله بن المبارك يرثي الامام مالك (2) بن أنس المدني:

الطويل

صموت إذا ما الصمت زين أهله
وعى ما وعى القرآن من كله حكمة
وفائق أبقار الكلام المختم
وسيطت له الآداب باللحم

والدم

(2): هو مالك بن أنس بن أبي عامر الأصبحي المدني، إمام دار الهجرة، أحد الأئمة الأربعة وإليه ينسب المالكية، ولد بالمدينة سنة 93 للهجرة، له الموطأ وغريب القرآن، توفي سنة 177 هـ بالمدينة المنورة. انظر ترجمته في الأعلام 3\824.

الوصولية

البسيط

أنشد عبدالله بن المبارك:

حبّ الرياضة لا دواء له
وقلما تجد الراضين بالقسم

قافية النون

وصف من كانوا قبلنا

سمع عبدالله بن المبارك يقول: حفروا بخراسان حفيرا فوجدوا فيها رأس إنسان، فوزنوا سنا من أسنانه فإذا فيه سبعة أساتير (1) فقال عبدالله بن المبارك:

وفي رواية أخرى: حملوا له سنين من خرج حصن مرو.. فوزنهما أو أحدهما فإذا فيه منوان (2) وزنا فقال فيه شعرا:

الخفيف

فهاج لي الدمع سخا هتونا (3)
ليحدث ذلك للقلب لنا
وقد أبت النفس أن تستلينا
ودهرا تقاسيه قدما خوونا
وصوت الصوائح فيما بلينا
يطير له القلب روعا حزينا
ب بأخرى حديد تصيب الوتينا (5)

تذكرت أيام من قد مضى
فرددت في النفس ذكراهم
فقلت لنفسي وعاتبها
أتسبين آثار من قد مضى
وقرع المنايا (4) وإيقاعها
وما إن نزال على جادث
وما تهدأ النفس حتى أصا

وقدما تكاد تهدّ المتونا
تكون النوائب⁽⁶⁾ بالموت فينا
وإما شمالا وإما يمينا
بدهنا بأخر ينعى السكونا
ستؤتين عمّا قليل يقينا
أهيل عليها ترابا وطينا
وأعزز بها اليوم أيضا دفينا
وقارا نبيلًا وبرًا ودينا
وكننت أراهم رفاقا عزيزنا
حنين عشار تحب الحنين
فقد كنت بالقرب منهم ضنينا
أظل على ذكرهم مستكينا
وما الحيّ أبقى من المتينا!⁽⁸⁾
وإن عمّر القوم أيضا سنينا
فهم في السياق وما يشعرونا
فبكى لنفسك في الهالكينا⁽⁸⁾
إذا كنت تبكين أو تغفلينا
سيتبع الآخر الأولينا
تمنّيك نفسك فيها الظنونا
مصارع أهلك والأقربين
وكانوا كمثلك في الدور حيننا
ومن كنت ترصين أو تحذرنا؟!
قرونا تتابع تتلو القرونا؟!
من الحصن لما أثاروا الدفينا
تقلّ بها الكفّ شيئًا رزينا
تباركت يا أحسن الخالقينا
وما كان يملأ تلك البطونا؟
تصاغرت النفس حتى تهونا
وبادوا جميعا فهم خامدونا

وإما دراكا على إثرها
وفي كل يوم وفي مسية
وإما قريبا تراش به⁽⁷⁾
إذا سكن الرّوع عن ميّت
وكيف البقاء على ما أرى
دفنت الأحبة لم ألها
وكانت تعز على أهلها
لقد عيّب القبر في لحدّه
وصحبي والأهل فارقتهم
كأن تأوّب أهليهم
وإخوان صدق لحقنا بهم
وأوحشت الدار من بعدهم
أرى الناس سيكون موتاهم!
أليس مصيرهم للفنا؟
يساقون سوقا الى يومهم
فإن كنت تبكين من قد مضى
وبكى لنفسك جهد البكا
فإن السبيل لكم واحد
وإن كنت بالعيش مغترة
فنادى قبورك ثم انظري
إلى أين صاروا وماذا لقوا؟
وأين الملوك وأهل الحجا
وأين الذين بنوا قبلنا
أتيت بسنين قد رمتا
على وزن منين إحداهما
ثلاثين أخرى على قدرها
فما يقوم لأفواهم؟
إذا ما تذكرت أجسامهم
وكلّ على ذلك لاقى الردى

- (1): مقدار الإستار 20,05 غراما فالسن وزنه يقارب من مائة وخمسين حراما.
(2): المنوان: مثنى منا وهو معيار قديم كان يكال أو يوزن به. (ج) أمناء.
(3): هتنت السماء هتونا هطلت وتتابع مطرها، ويقال: هتن الدمع قطر.
(4): قرع المنايا: طرق الموت والمنايا جمع منية.
(5): الوتين الشريان الرئيسي الذي يغذي جسم الانسان بالدم النقي الخارج من القلب.
(6): النوائب: جمع نائبة وهي المصيبة.
(7): تراش: تجرح وتصاب.
(8): هذه المعاني تتفق وقول بعض الشعراء:
كل باك فسيبكي وكل ناع فسينعى
وكل مذخور سيفنى وكل مذكور سبينسى
ليس غير الله يبقى من علا فالله أعلا

الرد على الخوارج
قال عبدالله بن المبارك معارضا الخارجي عمران بن حطان:
البيسط

إني امرؤ ليس لي في ديني لغامزة
لين ولست على الأسلاف
طغانا
وفي ذنوبي إذا فكرت مشتغل
وفي معادي إن لم ألق غفرانا
عن ذكر قوم مضوا كانوا لنا سلفا
وللنبي على الإسلام أعوانا
ولا أزال لهم مستغفرا أبدا
كما أمرت به سرًّا وإعلانا
فما الدخول عليهم في الذي عملوا
بالطعن مني وقد فرّطت
عصيانا
فلا أسب أبا بكر ولا عمرا
ولا ابن عمّ رسول الله أشتمه
ولا الزبير حواريّ الرسول ولا
ولا أقول لأمّ المؤمنين كما
ولا أقول عليّ في السحاب لقد
لو كان في المزن ألقته وما حملت
انسانا
إني أحب عليًّا حب مقتصد
ولا أرى دونه في الفضل عثمانا
أما عليّ فقد كانت له قدم
في السابقين لها في الناس قد بانا
وكان عثمان ذا صدق وذا ورع
مراقبا وجزاه الله غفرانا
ما يعلم الله من قلبي مشايعة
إني لأمنحهم بغضي علانية
ولا أرى حرمة يوما لمبتدع
ولا أقول بقول الجهم إنّ له
ولا أقول تخلى عن خليفته
ما قال فرعون هذا في تجبّره لكن
طغيانا
على ملة الإسلام ليس لنا
إن الجماعة حبل الله فاعتصموا
الله يدفع بالسلطان معضلة
لولا الأئمة لم يأمن لنا سبل
اسم سواه بذاك الله سمّانا
بها هي العروة الوثقى لمن دانا
عن ديننا رحمة منه ورضوانا
وكان أضعفنا نهبا لأقوانا

وقال أيضا:

حب النبي وحب الصحب مفترض
من كان يعلم أن الله خالقه
ولا يسب أبا حفص وشيعته
ثم الولي فلا ينسى المقال له
هم عماد الورى في الناس كلهم
أضحوا لتابعهم نورا وبرهانا
فلا يقولنّ في الصديق بهتانا
ولا الخليفة عثمان بن عفانا
هم الذين بنوا للدين أركاننا
جازاهم الله بالإحسان إحسانا

الفرار الى الله

كان عبدالله إذا خرج الى مكة يقول:

البيسط

وبيع نفسي بما ليست له ثمننا
ما ليس يبقى فلا والله ما اتزنا

بغض الحياة وخوف الله أخرجني
إني وزنت الذي يبقى ليعدله

المعاصي تميت القلوب
المتقارب

قال عبدالله بن المبارك:

ويتبعها الذلّ إيمانها
وخير لنفسك عصيانها
وأخبار سوء ورهبانها
ولم تغل في البيع أثمانها
يبين لذي العقل إلتانها

رأيت الذنوب تميت القلوب
وترك الذنوب حياة القلوب
وهل بدلّ الدين إلا الملوک
وباعوا النفوس فلم يربحوا
لقد رتع القوم في جيفة

النهي عن بيع الدين بالدنيا

لما ولي إسماعيل بن عليّة (ت: سنة 193 هجرية الصدقات بالبصرة - أو
العشور - كتب يستمده برجال من القراء يعينونه على ذلك، فرد عليه القراء
ضربان: قوم طلبوا هذا الأمر لله فأولئك لا حاجة لهم في لقاءك، وقوم طلبوا
الدنيا، فأولئك أضر على الناس من الشرط، وكتب اليه:
وقيل لما ولي المظالم ببغداد أيام الرشيد شقّ على ابن المبارك فكتب
يؤبّخه، وحين بلغت الأبيات إسماعيل، استعفى الرشيد من القضاء، ولم يزل
حتى أعفاه...:

البيسط

يا جاعل العلم له بازيا
أحتلت للدنيا ولذاتها
وصرت مجنوناً بها بعد ما
لا تبع الدين بدنيا كما
أين رواياتك في سردها
أين رواياتك والقول في
إن قلت أكرهت فماذا كذا زل حمار العلم في الطين

يصطاط أموال المساكين
بحيلة تذهب بالدين
كنت دواءً للمجانين
يفعل ضلال الرهايين
عن ابن عون وابن سيرين؟
لزوم أبواب السلاطين؟
إن قلت أكرهت فماذا كذا زل حمار العلم في الطين

الإستغناء بالله

البيسط

قال عبدالله بن المبارك:

ولا أراهم رضوا في العيش بالدون
تغنى الملوک بدنياهم عن

أي رجالا بدون الدين قد قنعوا
فاستغن بالله عن دنيا الملوک كما اسد
الدين

واعمل ليوم تجازى بالموازين
ولا لأخذك شعرا كالمجانين
فهل تراه نجاه للرهابين
وقد فتحت لك الحانوت بالدين
تبتاع بالدين أموال المساكين
تنهاك عن خدع بين الأساطين
نلت الرشاد بآيات الطواسين
عن الريا ثم أموال المساكين
عن التكبر أمثال الفراعين
وليس يفلح أصحاب الشواهين

ذر التزيّن في دنياك بالدين
ليس اللباس لباس الصوف من عمل
هذا اللباس مع الرهبان في شعث
قد يفتح المرء حانوتا لمتجره
بين الأساطين حانوت بلا غلق
في سورة الكهف لو فكرت موعظة
وفي الطواسين أخرى إن عملت بها
أما التي ذكرت في الكهف ناهية
وآية القصص الأخرى فزاجرة
صيّرت دينك شاهينا تصيد به

لا حياء في طلب العلم

قدم رجل واستحى أن يسأل. فكتب ابن المبارك إليه بطاقة وألقاها إليه
فإذا فيها:

المتقارب

له ترجع غدا بخفي حنين
سلسا يلتقيك بالراحتين
قمت عنه وأنت صفر اليدين

إن تلبّست عن سؤالك عبد الـ
فاعنت الشيخ بالسؤال تجده
وإذا لم تصح صباح الثكالى

فيما نسب له ولغيره

التصدي لمن يتناول على العلماء

قيل لعبدالله بن المبارك: فلان يتكلم في أبي حنيفة فأنشد:
الخفيف

حسدا إن رأوك فضلك اللـ ه بما فضلت به النجباء

ثمرة العلم

البسيط

قال عبدالله المبارك:

العلم زين وتشريف لصاحبه
لا خير فيمن له أصل بلا أدب
كم من شريف أخی عى (1) وطمطمة
فاطلب - هديت - فنون العلم والأدبا
حتى يكون على ما فاته حدبا
قدم (2) لدى القوم معروف إذا

انتسبا

في بيت مكرمة آباؤه نجب
وخامل مقرف الآباء (3) ذي أدب
كانوا رؤوسا فأمسى بعدهم ذنبا
نال العلاء به والجاه والنسبا (4)

- (1) العي: الجهل أو العجز.
- (2) القدم: ثقيل الفهم، أو الغبي.
- (3) مقرف الآباء: أي مختلط النسب أو معاب في آياته.
- (4) ذكر بعض الرواة أربعة أبيات أخرى مع هذه الأبيات هي:

العلم كنز وذخره لا تعادله
ياجامع العلم نعم الذخر تجمعه
اشدد يدك به تحمد مغبته
قد يجمع المرء مالا ثم يسلبه
نعم القرين إذا ما عاقل صحبا
لاتعدلن به دارا ولا ذهبيا
به تنال الغنى والدين والحسبا
عما قليل فيلقى الذل والحربا

تقوى الله

المنسرح

قال عبدالله بن المبارك:

أدبت نفسي فما وجدت لها
في كل حالاتها وإن قصرت
وغيبة الناس إن غبتهم
قلت لها طائعا - وأكرمها -
من بعد تقوى الله من أدبي
أفضل من صمتها عن الكذب
حرّمها ذو الجلال في الكتب
الحلم والعلم زين ذي الحسب
نفس فإن السكوت من ذهب
إن كان من فضة كلامك يا

التقرب الى الله
الخفيف

أنشد عبدالله بن المبارك:

ه إذا كنت فارغا مستريحا
طل فاجعل مكانه تسبيحا
ق وإن كنت بالكلام فصيحا

واغتتم ركعتين زلفى الى اللـ
وإذا ما هممت بالمنطق البـ
إنّ بعض السكوت خير من النطـ

الاستعداد ليوم الرحيل
السريع

رئى على قبر عبدالله بن المبارك مكتوبا:

يذهب فيه حبله السابح
مقالة من مشفق ناصح
إلا التقى والعمل الصالح
إلا فتى ميزانه راجح

الموت بحر طافح موجه
يانفس إني قائل فاسمعي
لا ينفع الانسان في قبره
ولا ينال الفوز من دهره

قال عبدالله بن المبارك:

الرمـل

وتعرّت ذات يوم تبترد
عمركنّ الله لم لا يقتصد
حسن في كل عين من تود
وقديما كان في الحب الحسد

زعموها سألت جاراتها
أكما ينعتني تبصرني
فتضحكن وقد قلن لها:
حسدا من شأنها

مجالسة الصالحين

قيل لابن المبارك: إنك تكثر الجلوس وحدك. فغضب وقال: أنا وحدي؟
أنا مع الأنبياء والأولياء والحكماء والنبى وأصحابه، ثم أنشد هذه الأبيات:
الطويل

الباء(1) مأمونون غيبا ومشهدا
معينا على دفع الهموم مؤبدا
وعقلا وتاديبا ورأيا مسددا
ولا أتقي منهم لسانا ولا يدا
وإن قلت: أموات فلست

مفتّدا

ولي جلساء ما أمل حديثهم
إذا ما اجتمعنا كان حسن حديثهم
بفيدونني من علمهم علم ما مضى
بلا رقبة أخشى ولا سوء عثرة
فإن قلت: أحياء فلست بكاذب

(1): ألباء جمع لبيب وهو العاقل.

الحدث بسبب الشقاق

البسيط

كتب ابن المبارك الى علي بن بسر المروزي هذه الأبيات:

إلا عداوة من عاداك من حسد
وليس يفتحها راق الى الأبد
وإن أباه فلا ترجوه من أحد

كل العداوة قد ترجى إمامتها
فإن في القلب منها عقدة عقدت
إلا الإله فإن يرحم تحلّ به

الفقر لا يعيب صاحبه

السريع

قال عبدالله بن المبارك:

عيب الغنى أكبر لو تعتبر
على الغني إن صحَّ منك النظر
وليس تعصى الله كي تفتقر

يا عائب الفقر ألا تزدرج
من شرف الفقر ومن فضله
أنك تعصى كي تنال الغنى

الأخلاق الحسنة

الرمل

قال عبدالله بن المبارك:

لا تكن كلبا على الناس تهر

خالق الناس بخلق حسن

عمل المعروف في أهله وفي غير أهله
الوافر

قال عبد الله بن المبارك:

تحملها شكور أو كفور
وعند الله ما كفر الكفور

يد المعروف غنم حيث كانت
ففي شكر الشكور لها جزاء

مدح أحد الكرماء

الكامل

قال عبدالله بن المبارك بمدح يزيد بن حاتم بن قبيصة بن المهلب بن أبي
صفرة:

فسواك بائعها وأنت المشتري
فيها السبيل الى نداك بأوعر
بيدين ليس نداهما بمكدر
قال الّدى - فأطعته - لك: أكثر
من معدل عنه ولا من مقصر

وإذا تباع كريمة أو تشتري
وإذا توغّرت المسالك لم يكن
وإذا صنعت صنيعة أتممتها
وإذا هممت لمعتفك بنائل
يا واحد العرب الذب ما إن لهم

قلة الصالحين

الكامل

قال عبدالله بن المبارك:

والمنكرون لكل أمر منكر
بعضا ليأخذ معور من معور

ذهب الرجال المقتدى بفعالهم
وبقيت في خلف يزيّن بعضهم

ركبوا ثنّيات الطريق فأصبحوا
ما أقرب الأشياء حين يسوقها
العلم زين للرجال مروءة
أأخي إن من الرجال بهيمة
فطن لكل مصيبة في ماله

متنكيين عن الطريق الأكبر
قدر وأبعدها إذا لم تقدر
والعلم أنفع من كنوز الجواهر
في صورة الرجل السميع المبصر
وإذا يصاب بدينه لم يشعر

تدنيس الدين

البسيط

قال عبدالله بن المبارك:

مابال دينك ترضى أن تدنسه
ترجو النجاة ولم تسلك طريقها
وثوبك الدهر مغسول من الدنس
إن السفينة لا تجري على
اليبس

حقيقة الذل

الرجز

قال عبدالله بن المبارك:

حسبي بعلمي إن نفع
من راقب الله رجع
ما طار طير وارتفع

ما الذل إلا في الطمع
عن سوء ما صنع
إلا كما طار وقع

علامة البلاء

الكامل

قال عبدالله بن المبارك:

ومن البلاء وللبلاء علامة
العبد عبد النفس في شهواتها
ألا يرى لك عن هواك نوزع
والحرّ يشبع مرة ويجوع

قوله في سفيان الثوري

الطويل

وفيما كتبت (الأزدي) من أخبار الثوري - ولا أدري لابن المبارك هي أو
لغيره:

لقد عاش سفيان حميدا محمدا
جعلتم فداء للذي صان دينه
على كل قار هجنته المطامع
وفرّ به حتى حوته المضاجع

الصدق في الحب

الكامل

قال عبدالله بن المبارك:

تعصي الاله وأنت تظهر حبه
لو كان حبك صادقا لأطعته
هذا لعمرى في الفعال بديع
إن المحب لم يحب مطيع

تمزيق الدنيا
الطويل

أنشد عبدالله بن المبارك:

نرقع دنيانا بتمزيق ديننا
فلا ديننا يبقى ولا ما نرقع

مكارم الأخلاق
الطويل

قال عبدالله بن المبارك:

الى الله أشكو لا الى الناس أني
أرى خلّة في إخوة وعشيرة
أرى صالح الأخلاق لا
فلو طاوعتني بالمكارم قدرة
أستطيعها
وذي رحم ما كنت ممن يضيّعها
لجاد عليها بالتّوال ربيعها

مدحه لأبي حنيفة

الوافر

قال عبدالله بن المبارك: " لولا أبو حنيفة لكنا كسائر الناس " وأنشد فيه:

لقد زان البلاد ومن عليها
بآثار وفقه مع حديث
فهمت مقالكم فأجبت عنه
لأن أبا حنيفة كان براً
كطيران الصقور من المنيفه
بحسن الرأى مؤونته خفيفه
فما لكم ورأى أبي حنيفة
ولا في المغربين ولا بكوفه
رأيت العائين له سفاها
يبيب مسهدا سهر الليالي
وخلاف الحق مع حج ضعيفه
وصان لسانه عن كل إفك
ومرضاة الإله له وظيفه
فمن كأبي حنيفة في عداة
له في الدين أثارا شريفه
وقد قال ابن ادريس مقالا
صحيح النقل في حكم لطيفة

على فقه الإمام أبي حنيفة

بأن الناس في فقه عيال

وصيته لأحد أصحابه

الوافر

سأل حاتم بن عبدالله - حين أراد الخروج من مكة ، ابن المبارك الوصية فقال:

فكن لهم كذي الرحم الشفيق
عمى القلب عن عيب الرفيق
ولكن قل: هلم إلى الطريق
وتبقى في الزمان بلا صديق

إذا صاحبت في الأسفار قوما
بعيب النفس ذا بصر وعلم
ولا تأخذ بعثرة كل قوم
فإن تأخذ بهفوتهم تمل

نهاية التمام

البسيط

سمع عبدالله بن المبارك يقول:

يبدو ضئيلا نراه ثم يتسق
مرّ الجديدين نقصا ثم يمحّق

المرء مثل هلال عند رؤيته
حتى إذا ما تمّ أعقبه

دعوة الى العلم

الطويل

قال عبدالله بن المبارك:

وليس أخو علم كمن هو جاهل
صغير إذا التقت عليه المحافل

تعلم فليس المرء يولد عالما
وإنّ كبير القوم لا علم عنده

فضل المروءة

الكامل

قدم الكوفة مرة، ومعه مال فقسمه صررا، فزجه الى أبي أسامة بصرة
وكتب اليه هذين البيتين:

ومن المروءة غير خالي
وكفأك مكروه السؤال

وفتى خلا من ماله
أعطاك قبل سؤاله

هموم العيش

المتقارب

قال عبدالله بن المبارك:

فما تقطع العيش إلا بهم
فما تأكل الشهد إلا بسم

همومك بالعيش مقرونة
حلاوة دنياك مسمومة

صفات الصديق

المتقارب

قال عبدالله بن المبارك:

وإذا صاحبت فاصحب ماجدا قوله للشيء: لا، إن قلت لا
ذا حياء وعفاف وكرم إذا قلت: نعم قال: نعم

ضياع الحقوق

البسيط

حتى متى لا ترى عدلا تسرّ به ولا ترى لدعاة الحق أعوانا
مستمسكين بحق قائلين به إذا تلّون أهل الجور ألوانا
بالرجال لداء لا دواء له وقائد القوم أعمى قاد عميانا

الرزق من الله تعالى

البسيط

لا تضرّ عن مخلوق على طمع فإن ذاك مضرّ منك بالدين
واسترزق الله مما في خزائنه وإنما هي بين الكاف والنون
ألا ترى: كل من ترجو وتأمله من البريّة مسكين بن مسكين

مدحه للإمام مالك

الكامل

قال عبدالله بن المبارك مادحا للإمام مالك بن أني رضي الله عنه:

يأبى الجواب فما يرجع هيبة فالسائلون نواكس الأذقان
هدى الوقار وعزّ سلطان التقى فهو المهيب وليس ذا سلطان

الدنيا لا تساوي شيء

البسيط

لولا شماتة أعداء ذوي حسد أو اغتنام صديق كان يرجوني
لما طلبت من الدنيا مراتبها ولا بذلت لها عرض ولا ديني

مميزات الصدق والصمت

الكامل

قال عبدالله بن المبارك: أحب الصالحين ولست منهم، أبغض الطالحين
وأنا شر منهم، ثم أنشأ يقول:

الصمت أزين بالفتى من منطق في غير حينه
والصدق أجمل بالفتى في القول عندي من يمينه

سمة تلوح على جبينه
ك إذا نظرت الى قرينه
غلب الشقاء على يقينه
فابتاع دنياه بدينه

وعلى الفتى بوقاره
فمن الذي يخفى علي
رب امرئ متيقن
فأزاله عن رأيه

الحب الخالص

ويلحق بشعر ابن المبارك قصيدة تائية طويلة، تنسب له في مخطوطة
بمكتبة أوقاف الموصل باسم " قصيدة لعبدالله بن المبارك " يقول:

وكلّ كلام لا بذكر آفات
وكل سماع لا لقولك زلات
وجدّ وسعي لا إليك بطالات
وكل عكوف لا إليك جنابات
وكل اتجاه لا إليك ضلالات
وكل حديث عن سواك خطيئات

وكل اجتهاد في سواك مضيع
وكل اشتغال لا بحبك باطل
وكل اجتماع اليك ضلالة
وكل وقوف لا لبابك خيبة
وكل اهتمام دون وصلك ضائع
وكل رجاء دون فضلك آيس

ثم يقول:

فطوبى لعبد ناله منك أوقات
فطوبى لعين حاربتها

وأنت مراد الحبّ والغير باطل
فيا ويح عين حالف النوم جفنها

المنامات

وأهل الجفاء في لذة النوم أموات
ويا فوز قلب فيه منك مودات
كحال محب ادركته العنايةات
وليس له إلا التشاغل همات
وليس له عزم إليك ونيات
على المصطفى تغشاه منك التحيات
نموت بها في الحب عندك موتات
يرى الفرد حيا والمظاهر آيات

تبيت إذا نام الخليّ سهيرة
فيا ويل قلب لم تكن فيه ساكن
فطوبى لعبد شغله بك دائما
وسحقا لمطروود عن الباب مبعدا
على نفسه فليبك من فاته الهدى
وصلّ إليهي بكرة وعشيّة
فيا رب وفقنا لرؤياك نظرة
ويحيا - ولا يشقى - حياة هنية

وصف العباد

الطويل

ويلحق بشعر الإمام عبدالله بن المبارك ما أورده الإمام المرشد بالله
يحيى بن الحسين الشجري المتوفى سنة 479 هـ في أماليه الخميسية:
حدثني إبراهيم بن العباس الرامز، قال عبدالله بن المبارك في وصف
العباد:

وما وسدهم إلا ملاء وأدرع
وما نومهم إلا عشاش مروع
عليها صفار غلّ بالورس مشيع
الى الله في الظلماء والناس

وما فرشهم إلا أيا من أوزرهم
وما ليلهم إلا نجيب وماتم
وأوانهم صفر كأن وجوههم
مذابل قد أزرى بها الجد والسرى

وأعينهم من خشية الله تدمع

هجع

ومجلس ذكر فيهم قد شهدته

وقال أيضا:

تخفى جراحها في جنب مغرور
بثّ الشهادات للأيتام بالزور
لبس العداة لهم يوما بمسرور
وتحتها كل ذنب السرج مشهور
على المساكين والغلات والدور
ألذ من ثمرة تحشى بزنبور
كحبة الفخ دقن عنق عصفور

إن الذين تروا حفوا شواريهم
هم الصعاليك إلا أن بأسهم
ما راعني منهم إلا قلائسهم
قوم قلائسهم كالرمح طعتها
قوم إذا غضبوا كانت رماحهم
كم كسرة بجريش الملح تأكلها
كم من أكلة قربت للهلك صاحبها

يصف المرقص

ويلحق بشعر الإمام عبدالله بن المبارك ما ورد في المرقصات
والمطربات:

قال أبو عبدالله بن المبارك القصارى البغدادي، له في المرقص

قد عقدت صبحه بليله
فجاء مستمسكا بذيله

وأشعل الذيل ذي حجول
كأنما البرق خاف منه

تمّ والحمد لله
شبكة مجاهد مسلم